المخدرات أحكامها الشرعية وأثارها النفسية والاجتماعية

د. الهادي المبروك سالم•

مقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام وارتضاه لنا دينا قال تعالى: ﴿ *مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ* سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾، والحمد لله الذي بعث إلينا نبيا هدانا إلى الطريق المستقيم، وبين لنا الخير من الشر، والحلال من الحرام، وما علينا إلا الاتباع والطاعة.

لقد أمرنا العلي القدير بأن نشكره على نعمه التي تفضل بها علينا وهي لا يحصيها عدد، قال تعالى: [*وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا* إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)،[النحل،18]. ومن أكبر النعم التي خص الله بها بني البشر هي نعمة العقل، فهي مناط التكليف، وبارتفاعها من عند الله يرتفع التكليف، قال صلى الله عليه وسلم (رفع القلم عن ثلاث) وهذه النعمة هي تكريم من عند رب العزة لبني البشر قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: 70] فقد كان التفضيل بهذه النعمة الربانية التي شرع الله لها من الأحكام ما هو كفيل بحفظها، وجعلها من المقاصد الشرعية.لقد أمر الله الإنسان أن يُعمل عقله في التدبر والتفكر واستنكر على من لا يعملون عقولهم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

لقد أوجب الله العقوبة على من يذهب عقله ويعطله؛ لأنه إن فعل فإنه يسوي نفسه بالأنعام في الضلال وعدم اتباع الحق ، وواحد من أخطر الأمراض التي يتعرض لها العقل البشري في هذه الأيام فتذهبه وتعطل عمله هو مرض المخدرات، فهو آفة اجتماعية خطيرة، وهذه الآفة من أبرز الظواهر الاجتماعية، وإحدى أكبر المشكلات المعاصرة التي تهدد المجتمعات البشرية في مختلف بقاع الأرض النامية والمتقدمة على حد سواء، وقد ساهم في هذا الانتشار الهائل للمخدرات التطور الثقافي والتكنولوجي، والتوسع في وسائل الاتصال والتجارة الدولية، وأصبح ترويج المخدرات أسلوب حربي خبيث تستخدمه بعض الحكومات وتروج له شركات ذات هيمنة مالية قوية، ومما تتصف به هذه التجارة هو العدوانية التامة للمجتمع البشري، ومحاولة إخضاعه لتحقيق أطماع مالية، وبسط النفوذ والسيطرة المالية والسياسية.

• قسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب– جامعة طرابلس.

مشكلة البحث:

يعد العنصر البشري من أهم دعائم اقتصاد الدول وهو الركيزة الأولى التي يجب على الدول الاهتمام بها، والعمل على تنميتها وحمايتها من كل الآفات التي تعصف بها. هذا من المنظور الاقتصادي، أما من المنظور الديني وهو الأولى بالتقديم لأن سر وجود الإنسان في هذه الدنيا هو عبادة الله، وبدون العقل لا يمكن القيام بهذه المهمة، ولا تقبل العبادة.

تكمن مشكلة البحث الحالي في الإجابة على التساؤلات التالية:

1. ما الأحكام الشرعية لتعاطي وإدمان المخدرات؟
2. ما هي الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة على تعاطي وإدمان المخدرات؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى التعريف بالأحكام الشرعية الواردة في كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لتعاطي وإدمان المخدرات، والكشف عن الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة على ذلك.

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لموضوع البحث، وهو دراسة نظرية ومراجعة شرعية تربوية لأدبيات المجال.

أهمية البحث

مكافحة المخدرات تتطلب جهودا عالمية على جميع الأصعدة، العلمية والأمنية، والعمل على تخفيف أضرارها. ولعل هذا البحث ببيانه للأحكام الشرعية والمفاسد المترتبة على ترويج المخدرات يسهم في علاج هذا الداء العضال المثبط للهمم والمفتت للعزائم.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي:-

أ/ المخدرات:

لقد عرفت المخدرات لغة وشرعا وقانونا، فمن التعريف اللغوي جاءت من اللفظ (خدر) ومصدره التخدير، ويعني الستر، وجارية(مخدرة)، إذا لزمت الخِدر. و(الخَدْر) في الرجل وبابه طرب(الرازي،1972 ،ص170)، وقد ورد في القصائد الشعرية العربية التغني بخدر المرأة وهو المكان الذي تحتجب فيه عن أعين الرجال، يقول امرئ القيس في معلقته المشهورة : "ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة". ويقال يوم خدر يعني مليء بالسواد، وليلة خدرة بعني الليل الشديد الظلام. أما من

الناحية الشرعية فقد أطلقت كلمة المخدرات على"المفترات" يعني ما يغيب العقل والحواس دون أن يصحب ذلك النشوة والسرور، أما إذا صحب نشوة فإنه مسكر، والتعريف القانوني : "هي مجموعة من المواد التي تسبب الإدمان النفسي والبدني ،وتسمم الجهاز العصبي المركزي ويحضر تداولها أو زراعتها أو تصنيعها إلا لأغراض يحددها القانون ولاستخدامٍ بترخيص"(غراس ، 1999).

ومخدَّر اسم مفعول من خدَّر، ومخدِّر: فاقد للإحساس غائب عن الوعي ومخدِّر اسم فاعل من خدَّر، وهي مادة تسبب في الإنسان والحيوان فقدان الوعي بدرجات متفاوتة، كالحشيش والأفيون(معجم المعاني الجامع). والمخدرات وفق التعريف القانوني تشمل الأفيون ومشتقاته، والحشيشة، وعقاقير الهلوسة، والمنشطات، والكوكايين، أما الخمرة فلا تعتبر من المخدرات على الرغم من أضرارها الجسدية والنفسية ، وقابليتها لإحداث الإدمان(زيد،1988، ص 19).

ب الإدمان:

دمن– (الدِّمْنَة) آثار الناس وما سوّدوا وجمعها دمَنٌ وقد (دمَّن) القوم الدار (تدمينا). وفلان (يُدمن) كذا أي يديمه. ورجل (مُدْمنُ) خمرٍ أي مداوم شربها(مختار الصحاح، ص211). أما تعريف الإدمان في الاصطلاح فهو : حالة مرضية من الاعتماد النفسي والجسدي على مادة تحتوي على عناصر مسكنة أو منبهة أو على سلوك ما ، ومن شأن هذا الاعتماد أن يؤدي بالفرد إلى شعور برغبة ملحة للحصول على المادة، أو ممارسة السلوك الذي أدمن عليه. وقد ميز الأخصائيون بين الاعتماد المادي والاعتماد السلوكي:

- الاعتماد المادي أو الجسمي بشكل خاص هو : إدمان المخدرات أو الكحول أو المهدئات، وفيه يتعود الجسم على المادة الكيميائية لدرجة لا يستطيع التخلص منها بسهولة.
- الاعتماد السلوكي أو النفسي وهو يطال ممنوعات مثل الميسر (القمار).

لقد عرفت هيئة الصحة العالمية في كتيب أصدرته سنة 1973الإدمان بأنه: "حالة نفسية وأحيانا عضوية تنتج عن تفاعل الكائن الحي مع العقار، ومن خصائصها استجابات وأنماط سلوك مختلفة تشمل دائما الرغبة الملحة في تعاطي العقار بصورة متصلة بين الفينة والأخرى للشعور بآثاره النفسية، أو لتجنب الآثار المزعجة الناجمة عن عدم توفره ، وقد يدمن المتعاطي على أكثر من مادة في الوقت نفسه"(زيد،1988، ص51).

وقد أضيفت للتعريف السابق خصائص أخرى للإدمان (أبوغرارة واخرون، ص63،) أبرزها:

- الرغبة الملحة في الاستمرار في تعاطي عقار ما أو مجموعة عقاقير أيا كانت الوسيلة ومهما كان الثمن.
- زيادة الجرعة بصورة تصاعدية نظرا لتعود الجسم على العقار وعدم اكتفائه بالجرعة السابقة ، غير أن بعض المدمنين يظلون محافظين على جرعة ثابتة .
- إشباع الحاجة النفسية وأحيانا العضوية لتناول العقار.
- ظهور أعراض نفسية وجسدية مميزة لكل عقار في حال تناوله كما في حال الانقطاع عنه فجأة.
- حدوث آثار اجتماعية ضارة سواء بالنسبة للفرد المدمن أو البيئة التي يعيش فيها ، وغالبا في المجتمع ككل.

وتعاطي المخدرات والإدمان عليها يحدث اعتمادا نفسيا يصل إلى درجة الجبر، ويتصف الاعتماد النفسي (التعود) بشكل عام بالصفات التالية:-

- وجود رغبة مستمرة في أخذ جرعات دائمة من العقار لما يحدثه من راحة.
- عدم وجود ظاهرة التحمل ، أي عدم وجود حاجة لزيادة الجرعة
- يحدث التعود على عقار معين اعتمادا نفسيا فقط ولا يحدث اعتمادا جسديا(شديقات،2008، ص88).

أما الاعتماد الجسدي فهو اعتياد الجسد على مادة التعاطي التي تفرز مواد كيماوية داخل الخلايا فيتعود عليها الجسد في إدارة وظائفه الفسيولوجية بشكل يجعل هذه الوظائف تضطرب بشدة عند فقدان مادة المخدر ، وتظهر علامات ذلك في التثاؤب الشديد ، والإسهال وكثرة الدموع وإفرازات الأنف، والميل إلى النوم.(شديقات،2008)

المحور الثاني:- الأحكام الشرعية المتعلقة بالإدمان.

لقد امتن الله على الإنسان بأن ميزه على بقية خلقه بعقل مفكر ومدبر ، وهو مدار تكليف الله سبحانه وتعالى عباده بأنواع العبادات، فالشرط الأساس لتعلق التكليف وإيجاد الثواب والعقاب وجود عقل عامل لدى المكلف ، وفقدانه بدون تجن من الإنسان نفسه معذور عند الله ، ولا يحاسبه على التكاليف الدينية، ولا يؤاخذه على ما يحدثه من تصرفات التشريع الحكيم ، فمناط التكليف هو العقل. يقول الحق تبارك اسمه:[وَلَيْسَ *عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ* وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا.] [الأحزاب 5] ويقول تعالى: [*وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ* وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا).[الإسراء 70]. فهذا

التفضيل والتكريم ما كان إلا بسبب وجود العقل، وقد اتخذ الناس العقل صفة مدح لمن يعمله، وصفة ذم لمن يهمل إعماله، ويسعى في تعطيله عن أداء ما خلقه الله له. قيل لابن عباس رضي الله عنهما بماذا نلت العلم؟ فقال: "بلسان سؤول وقلب عقول"(ابن تيمية،1988، ص53.).

لقد وردت كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تشجع على إعمال العقل والاهتمام به وتنميته لينال صاحبه الدرجات العلى في الدنيا والآخرة، قال تعالى: [*فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ*][التوبة 122].هذه دعوة ربانية صريحة موجهة إلى المسلمين في عمومهم في ضرورة طلب العلم ليزين العقول، وبذلك تسعد الأمة وترقى، ويتيسر لها طريق الصلاح والرشاد ، ويقربها من النجاة من يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ومن تكريم القرآن لمن شحذ عقله بالعلم النافع أن جعله منارة يهتدي بها التائهون قال تعالى : [*فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ*)][النحل43]. كذلك يدعو القرآن الناس إلى إعمال فكرهم والتفكر في ملكوت السموات والأرض حتى تظهر لهم عظمة الخالق فيؤمنوا به، ويعبدوه حق العبادة ، قال تعالى: [**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**] [الروم 8].

وقال تعالى : [*أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا*)[محمد24]. وقال تعالى: [*وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ*][الذاريات21]. وهذه الخاصية –العقل– التي اختص الله بها عباده من بين سائر خلقه أوجبت عليهم تكاليف شرعية وصفها الله بالأمانة قال تعالى: [*إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ* فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [الأحزاب72]. وتحمل التكاليف والقيام بها على أكمل وجه لا يكون إلا بوجود عقل سليم خال من جميع الأمراض النفسية والاجتماعية، ومحمي من الآفات الدنيوية، فمن أهمل هذا العقل ولم يتدبر فيما خلق الله، أو أدخل عليه ما يضر به ويعطله فإن عقابه عند الله شديد، وعاقبته وخيمة.

والشارع الحكيم مثلما شدد في التحريم على من يتعدى على الغير، شدد أيضا على من يتعدى على عقله ويتناول المسكرات والمخدرات والمواد التي تحول دون عمل العقل ، وأوجب على حكام المسلمين المحافظة على مجتمعاتهم وذلك بإقامة الحد على شارب الخمر ومعطل العقل.

لقد وصف الخمر وما يتبعه من مفسدات العقل والمال بأقبح وصف وذلك بأن جعله من عمل الشيطان، قال تعالى: [*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا* إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ *لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ*] [المائدة 90]. وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم :(

لعن الله شارب الخمر) وهذا التشديد على شرب الخمر لا لشيء إلا لأنه يؤدي إلى تعطيل العقل، ويخرج الإنسان من دائرة الإنسانية إلى دائرة البهيمية –أعاذنا الله منها–.

تصف كتب السيرة أن مجتمع العرب في عصر الجاهلية كان ديدنهم معاقرة الخمر، ولما بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام بتعاليم الإسلام كان المنهج الرباني في إصلاح المجتمع هو التدرج في التشريع حتى تتقبل النفوس التعاليم الربانية وتترك ما كانت تألف من فاسد الأعمال، وهذا ما حصل في تحريم الخمر، فأول ما نزل في هذا الشأن قول الحق: [أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا *لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى* حَتَّى تَعْلَمُوْا مَا تَقُوْلُوْنَ) [النساء43]. فمع السكر لا تنعقد العبادة ولا تقبل من صاحبها ، لأن من شروطها وجود عقل سليم يتوجه به صاحبه إلى الله ويظهر له الولاء والطاعة وحسن العبادة.

تعد المحافظة على العقل من أساسيات الدين الإسلامي بل من أساسيات كل الديانات الربانية لأنها في مجملها تدعو إلى توحيد الله، والتوجه إليه بالعبادة الخالصة، وهذه الصفة لا تتأتى إلا لذي عقل سليم.

مما سبق يتضح لنا أهمية العقل، ومن خلال هذه الأهمية يبرز وجوب المحافظة على هذه الجوهرة الثمينة: وذلك بتطبيق أشد العقوبات على من يفسد عقله، أو يفسد عقول الآخرين سواء أكان ذلك بتناول المسكرات وما في حكمها، أو ببث السموم العقلية، والأفكار الهدامة التي تؤدي إلى إفساد المجتمع وضياع الدين ، فالفرد في نظر الإسلام هو عضو في مجتمع متكامل، ودوره يأتي ضمن حلقة متكاملة يكمل بعضها بعضا، وإذا اختل جزء منها فسوف ينعكس سلبا على الآخرين ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم أفراد المجتمع الإسلامي بالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضا إذا سقطت منه لبنة أوهنت البناء وأضعفته.

ويلحق بحكم الخمر المخدرات بجميع أشكالها وأنواعها ، ويدل على ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم (كل مسكر حرام)، ويؤكد التحريم ما روته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: (نهى رسول الله عن كل مسكر ومفتر) ، قال ابن حجر : هذا الحديث فيه دليل على تحريم الحشيش فإنها تسكر وتخدر وتفتر.(الصنعاني،2000) لقد ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن الذي يرتكب بعض أنواع المحرمات فإنها تقربه من سلب الإيمان –أعاذنا الله منه– ونص الحديث(لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع

الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن)فكل ما ذكر في الحديث من نقائص فإنها تؤثر في إيمان المرء، وتستوجب عليه عقوبة، والخمر من جملة المذكورات في الحديث.

وعقوبة الخمر وما في حكمه هي عقوبة تعزيرية يقدرها الحاكم ويشدد فيها حسب اقتضاء حاجة المجتمع، فقد عوقب شارب الخمر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بضربه بالنعال ونحو ذلك وجلد أربعين جلدة، وعندما استفحل الأمر في عهد الخليفة عمر _رضي الله عنه_ شدد العقوبة لتصل إلى جلد الشارب ثمانين جلدة .

ومما يدل على إلحاق كل مسكر بالخمر ما رواه جابر _رضي الله عنه_ أن رجلا قدم من جيشان، وجيشان جبل من اليمن فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزْرُ، فقال صلى الله عليه وسلم:"أومسكر هو؟" قال: نعم، قال قال صلى الله عليه وسلم:"كل مسكر حرام إن الله عز وجل عهد لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال" قالو يارسول الله وما طينة الخبال؟ قال: "عرق أهل النار" رواه مسلم.

إذا كان هذا حال شارب الخمر وهذه عقوبته فما بالك بمن يتعاطى المخدرات وما في حكمها، فهي كما أثبتت التجارب الطبية الحديثة أنها الداء العضال والسم الزعاف الذي يفتت الجسم، ويذهب بالصحة، فبها يذبل الجسم ويشحب الوجه وتغور العيون، وهي الوحش الذي يدمر كل شيء إذا دخل البيت ابتداء من الرابطة الاجتماعية حيث ينسف قاعدتها، ناهيك عن الخسائر المادية والمعنوية التي يحدثها، وداء هذا حاله، وهذه تأثيراته، يحتاج من المجتمع بجميع أطيافه وأطرافه الوقوف ضده ومحاربته، وإنزال أشد العقوبات بمن يتعامل مع هذه المخدرات تعاطيا أو اتجارا ، وقد يضطر ولي أمر المسلمين إلى فرض عقوبة الجلد، والسجن، ودفع الغرامات، والإعدام أحيانا، كل ذلك درءا للفساد ومراعاة لمصلحة العباد، وحفظا للأنفس والأموال فهي من أساسيات المقاصد الشرعية التي يجب على المسلمين في عمومهم وخصوصهم السعي لتحقيقها، والمولى سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل:[إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ] [المائدة 33-43]. وترويج المخدرات والمفترات والمسكرات وبث سمومها بين أبناء المجتمع لهي من أشد أنواع الفساد الذي نهى الله عنه وشدد في عقوبته.

المحور الثالث: الآثار المرضية للإدمان: " جسمية ، نفسية ، اجتماعية ".

قبل الولوج في الآثار التي يخلفها الإدمان يجب علينا معرفة الأسباب المؤدية إليه. يذكر د. جواد فطاير أن بعض المدارس الفكرية ترى أن الإدمان مسألة فسيولوجية جسدية ، وبالتالي فهو مرض كبقية الأمراض التي تصيب الجسد وتبث سمومها داخله، وتنحصر وظيفة المعالج في إيجاد الطريقة المثلى لاستخراج هذه السموم، ويتساءل د. فطاير : هل تنتهي مشكلة الإدمان بمجرد انتهاء العلاج الجسدي؟ ويؤكد أن نظرية هذه المدرسة فيه قصور ، والواقع كما يقول يدلل على عكس ذلك ، فكم من مدمن عولج بالعقاقير الطبية وبمجرد عودته للتعاطي يصبح وكأنه لم يتلق علاجا أصلا (فطاير،2001 ، ص32).

يقابل المدرسة السابقة مدرسة أخرى ترى أن الإدمان مرض نفسي، ولذا تركز جهودها على استعادة التوازن النفسي والصحة النفسية العامة للفرد عن طريق الأساليب العلاجية المختلفة (فطاير،2001). ويخلص المؤلف إلى أن الإدمان ليس مرضا نفسيا ولا عضويا، بل هو أزمة ناجمة عن الرغبة والحب الجامح للموضوع الإدماني، ولها في بعض الأحيان نتائج عضوية جسدية خطيرة، كما لها نتائج نفسية خطيرة أيضا(فطاير،2001).

نرى من خلال واقع الحياة المعاش وما نشاهده داخل مجتمعنا يؤكد ما أشارت إليه دراسات البحاث والمتتبعين لحركة المجتمع من أن الإدمان يخترق كل أطياف المجتمع، وناره تحرق جميع الأسر المحافظة منها وغير المحافظة، وجلسة الإدمان تجمع بين الرفيع والوضيع، ولحظة الاحتياج إلى الجرعة تنسي المدمن في نفسه، وتدفعه إلى التخلي عن كل المبادئ النبيلة في سبيل الوصول إلى مبتغاه، وهذه اللحظات دفعت بالكثير من المدمنين إلى بيع كل غال ورخيص في البيت من أقراط أمه وإلى شرف بنته وزوجته، كل ذلك من أجل أن يبتاع ما يريده من سموم معتقدا أنها تدخل عليه السعادة وتكسبه النشوة، وتنسيه الهموم، ولكن حاله حال المستجير من الرمضاء بالنار، فما أن ينتهي مفعول الجرعة حتى يعود إلى حياة أسوأ مما كانت في السابق، ولا مخلص من هذا البلاء إلا واعز ديني ، وعزم قوي ، وتصميم على التوبة وعدم الرجوع إلى دروب الشيطان مهما كانت الأسباب والدوافع.

إذا توفر العزم الصادق من قبل المدمن على ترك التعاطي فإن الإجراءات العلاجية جسدية أو نفسية ستكون سهلة وميسرة، ونسبة النجاح فيها عالية جدا ، وكما أسلفت القول في المقدمة سأحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على بعض ما يصيب المدمن من أمراض لعلها تحيي

ضمائر الشباب وتشعرهم بالخطر الذي يحيط بهم، ويهدد أمن المجتمع وسلامته وصحة أفراده، بل يهدد اقتصاد البلاد والعباد، ويصيب ضرره حتى أولئك الذين ابتغوا الهلاك لهذه الأمة.

ومن الآثار التي تحدثها المخدرات:

أولا الآثار الاجتماعية:

- العبودية: من الشواهد الثابتة عن المتعاطين للمواد المسكرة والمخدرة أنهم بعد فترة وجيزة من التعاطي يصبحون عبيدا لهذه العادة، فما أن ينتهي مفعول الجرعة الأولى حتى يبدأ المتعاطي في رحلة البحث من جديد عن الجرعة الأخرى، وفي سبيل الحصول عليها لا يثنيه عرف ولا خلق ولا دين، والوسائل مهما تردت فإن الغاية تبررها، وبهذا يكون المدمن أسير عادته والعبد الذي ينقاد وهو صاغر ذليل من أجل أن يعيش لحظة سرعان ما تزول.
- تعد السرقة واحدة من الآفات التي يصاب بها المدمنون فنتيجة للتكلفة العالية للمخدرات قد يدفع الأمر المدمن المفلس إلى السرقة من أجل التعاطي، والنساء يذهبن إلى أبعد من ذلك؛ حيث يبعن أجسادهن، ويمارسن البغاء بدافع الحصول على ما يشترين به هذه الجرعة اللعينة.
- الإسقاط الاجتماعي: مما يعانيه المدمن داخل مجتمعه، الإهمال وتجنب مخالطته، والتعامل معه بكل حذر، ويسري هذا الأثر ليصل إلى أفراد أسرته، فإذا كان متزوجا ولديه بنات فإنهن عرضة للعنوسة لأنهن في منبت سوء، والنبي صلى الله عليه وسلم عندما يوجه الشباب المسلم إلى اختيار الزوجة الصالحة يقول: (إياكم وخضراء الدمن) قالوا: وما خضراء الدمن يارسول الله؟ قال: (المرأة الحسناء في منبت السوء). أيضا في توجيهه صلى الله عليه وسلم لاختيار الزوج الصالح يقول:(إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه).
- والمدمنون المعاقرون للخمر، والمرتكبون للفواحش، انعدمت أخلاقهم، وانسلخوا من مبادئ وقيم هذا الدين القويم، فحري بالمجتمع المسلم أن يهجرهم ويضيق عليهم الخناق لعلهم يرجعون إلى جادة الحق، والله يقبل توبة التائبين، قال تعالى:[*إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ* وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء 48]
- تغذية المجتمع بالمنحرفين:

المدمنون يساهمون بدرجة عالية وبشكل مباشر وغير مباشر في تغذية المجتمع بالمنحرفين، وذلك من خلال إهمالهم لأسرهم، وعدم الحرص على تربية أبنائهم التربية السليمة، فهم ينشئون أبناءهم تنشئة سيئة تسبب انحرافهم، فقد تضطر الابنة أو الزوجة إلى بيع جسدها من أجل الحصول على متطلبات الحياة التي تقاعس عن توفيرها لهم رب البيت المدمن، بل صرف

حقها في ابتياع السموم، والأبناء إذا فقدوا القدوة الحسنة في البيت فسيكونون عرضة للانحراف، ويصبحون وحوشا تملأ الشوارع، وتهدد أمن المجتمع. والإسلام حرص كل الحرص على تماسك المجتمع، وتكوين الأسر السليمة لأنها نواة المجتمع وأساسه؛ فبصلاحها يصلح المجتمع، وبفسادها يكون الهلاك والفساد.

ثانيا الآثار النفسية:

أثبتت الدراسات العلمية أن التعاطي للمخدرات له الأثر النفسي السلبي، فقد درس د. هارولد فوت المنحى النفسي لمدمن الحشيشة، وخرج بالتوصيف التالي لشخصية الحشاش: "أنه صاحب ذاكرة ضعيفة، يميل إلى السطحية في عواطفه، كما يميل إلى العدمية والتخلي على صعيد الارتباطات، وقد يبدأ بالتخلي عن هواياته الرياضية، ثم التخلي عن المدرسة والعمل، وأخيرا يتخلى عن العائلة" (زيد، 1988،ص65).

ومن الأضرار النفسية للمخدرات انعدام المحبة والألفة بين المدمن ومجتمعه، وبينه وبين أفراد أسرته، فهم ينظرون إليه نظرة ازدراء واحتقار وهو ينظر إليهم نظرة عداء وانتقام، ، وبالتالي يدب الشقاق وتحدث الفرقة بينهم، وهذا من أخطر الأمراض التي تهدد كيان المجتمع بأسره.

والمدمن ينتج عنده مايسمى "جنون الاضطهاد" فيتوهم أن الناس يحيكون له المؤامرات ويدبرون لقتله أو الانتقام منه، ويتعاظم هذا الشعور ليصل به إلى التفكير في كيفية التخلص من الأعداء المزعومين، وهذا التوهم يكون دافعا من دوافع الجريمة(عيسوي، 1993 ، ص95).

ثالثا الآثار الاقتصادية:

يشكل تعاطي المخدرات جانبا اقتصاديا سلبيا له عواقبه الوخيمة على المحيط الفردي والأسري، بل على اقتصاد الدولة بأكمله، فالدول تنفق الأموال الطائلة في سبيل مكافحة المخدرات لتمنع شرها عن المجتمع البشري، ولخطورة هذا السلاح الفتاك فقد استعملته بعض الدول لغرض محاربة من يخالف سياستها من الشعوب الأخرى.

تشير الكثير من البحوث والتقارير أن بداية تعاطي المخدرات يكون بدعاية مجانية، إلى أن تقع الفريسة في براثن الوحش الكاسر، ثم بعدها يبدأ دفع الأموال الطائلة التي ترهق كاهل الفرد والأسرة ، والكثير من الشخصيات الغنية التي انخرطت في سلك الإدمان فقدت أموالها وأفلست، وباعت كل ما تملك مقابل الحصول على هذه السموم الفتاكة (غباري،د:ت ،ص77). والفرد عندما يصبح مدمنا فإن إنتاجه في المجتمع يقل، بل يصبح عبأ على المجتمع، وبالتالي يؤثر سلبا على اقتصاد الدولة ، وقلة الإنتاج، ويذكر غباري أن انتاج الفرد يقل كما وكيفا: فمن حيث الكم يزداد

عدد من يصبح إنتاجهم قليلا، ومن حيث الكيف فجودة إنتاج المدمنين تتأثر كثيرا بدرجة الانهيار والضياع التي يعانيها المدمن(غباري،د:ت).

وتعد السوق السوداء للعملة واحدة من العوامل التي تضعف اقتصاد الدولة، والمتاجرة بالمخدرات لها الأثر الواضح في تحيرك هذه السوق، وبالتالي فإن انعكاساتها السلبية تكون على حياة المجتمع، والدولة لو قدر لها أن تتخلص من هذه النفقات الباهظة التي تنفقها على مكافحة انتشار المخدرات لتسنى لها أن تنفق هذه الأموال في مصالح المجتمع الأخرى، ولساهمت هذه الأموال في دفع عجلة الاقتصاد نحو الأمام.

يبين د محمد الغزال في بحث عن المخدرات وتأثيرها على الشباب أن جزءا كبيرا من المشكلة الاقتصادية التي تعانيها الدول النامية تتمثل في الأموال الطائلة التي تدفع ثمنا للمخدرات التي تجلب من خارج البلاد بطرق غير مشروعة، وتسدد قيمتها عادة من السوق السوداء، فتهريب العملة الصعبة لغرض استجلاب المخدرات يرهق كاهل الدولة ويضعف قوتها الاقتصادية، ويتبع هذا أيضا ما تدفعه الدولة من مصاريف علاجية لهؤلاء المرضى، وما يصرف من أموال على الأجهزة الأمنية التي تكافح هذه الجريمة، وما يتعلق بها من سجون ومحاكم، وما ينفق على برامج الوقاية الصحية،كل هذه العوامل تؤدي إلى تأخر المجتمع وانهيار اقتصاد الدولة(الغزال، د:ن ، ص111).

رابعا الآثار الصحية:

لقد خلق الله الإنسان في أحسن صورة أرادها له قال تعالى:[*وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ] [غافر 64]*، وفي هذه الصورة ركبه تركيبا عجيبا غاية في الإبداع والإعجاز ، ودعاه إلى التفكر والتبصر في هذه الصورة عله يرجع إلى سواء السبيل، قال تعالى: [*وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ) [الذاريات 20]*، ومن هذه التركيبة العجيبة المتناسقة بأمر رباني؛ تركيب الجهاز العصبي في رأس الإنسان كما بينه العلماء، ويذكر د محمد أبو زيد تحت عنوان "التحولات البيولوجية المصاحبة للإدمان" ما يلي:

- الجهاز العصبي الحياتي وموقعه في أسفل الرأس، وهو المتحكم في حركة القلب وجهاز التنفس وحركة الأمعاء، وضغط الدم.
- قسم التحكم في الحاجات البيولوجية كالأكل والشرب والنوم....إلخ.
- القسم الموجود بقشرة الدماغ، وهو عبارة عن مناطق التقاط ما ترسله الحواس إلى الدماغ.

- القسم الرابع ويتمركز في الجبين وهو يختص بعمليات الإبداع ، وهذه المنطقة مسئولة عن اتخاذ القرارات الخاصة بالجسم (زيد، 1988، ص54).

فإذا تناول الإنسان المخدرات فإنها ستقتحم هذه المناطق، وتحدث خللا في تأديتها لوظائفها، فما يحدث من اضطراب لدقات القلب وارتفاع لضغط الدم، واختلال في التنفس إنما هو ناتج عن الإفراط في المخدرات التي تمركزت بدورها في المنطقة الأولى، وأحدثت هذه الأمراض، وإذا اختل القسم الثاني المسئول عن الحاجات البيولوجية، فيحدث الهزال والإثارة الجنسية التامة، ثم العجز المتنامي، وانقطاع حاد للشهية، أما القسم الثالث، فإذا اختل يختل النظر، ويبدأ بالهلوسة، وتتلاطم الأصوات، ويختل تفسير الدماغ للأشياء عموما، والقسم الرابع تعطله يؤدي إلى اختلال القرارات، وعدم التفكير المناسب، ويصبح المدمن غير قادر على التحكم في ردود الأفعال (زيد، 1988، ص57).

. مرض فقدان المناعة "الإيدز" .

المدمن للمخدرات يساهم بشكل مباشر في توقف جهاز الحماية الذي أوجده له الخالق، وإذا توقف هذا الجهاز عن العمل فإن الجسم يصبح عرضة لدخول الفيروسات المحملة بالأمراض، وبذلك حتى الهواء العليل الذي يتنسمه الأصحاء بالنسبة له هو وحش مخيف، قد يسبب له الكوارث الصحية.

. تأثير التعاطي على الحمل:

أثبتت الدراسات العلمية أن تعاطي الأمهات للمخدرات يؤثر على أجنتهن، فإدمانها يجعل الجهاز العصبي للجنين مدمنا على العقار، وإذا توقفت عن التعاطي فالجنين يصاب بالتشنج في رحم أمه، وقد يؤدي هذا التشنج إلى الإجهاض . وقد أدى الجهل ببعض الأسر بالالتجاء إلى وضع مخدر الأفيون تحت أظافر أطفالهم من أجل تهدئتهم، فيمتصون هذا المخدر، ويصاب الطفل بالإدمان، يعقب هذا الإدمان تدهور أجهزتهم العصبية بشكل سريع، ويعوقون عن النضج والبلوغ (الدفتار، 1991، ص107).

.الشذوذ الجنسي:

نتيجة لتعاطي المخدرات يصاب المدمن بالشذوذ الجنسي الذي يوصله في نهاية المطاف إلى أمراض جنسية خطيرة مثل: مرض الزهري والسيلان، وخاتمة البلاء مرض نقص المناعة، وقد أعلن مركز أبحاث المعوقين في نيويورك: أن الأبحاث التي أجريت به حول تأثير الحشيش

على الطاقة الجنسية تدل على أن نواة الخلايا الجنسية تتأثر بمادة "كانابينول" وأن كروموزمات هذه الخلايا تضطرب وتمرض مع أوائل الجرعات التي تؤثر على الأجهزة العصبية (الدفتار، 1991، ص111).

وفي سياق ذكر الأمراض يعدد لنا د.محمد الهواري مجموعة من الأمراض أكتشف الأطباء أنها نتاج تناول المخدرات مثل: تصلب الشرايين، التهاب الشبكية، اضطراب الكريات البيضاء اللمفاوية، آفات في الأطراف ناجمة عن مواضع الحقن، التهاب الكبد، فقدان الأسنان، اضطراب وظيفة الغدة الدرقية ، ارتفاع الضغط، القصور الكلوي، آفات الكبد وينتج عنها الموت لأقل من ثلاث سنوات، التهاب البنكرياس واضطراب عمل الانسولين، التهاب السحايا ونوبات الصرع(الهواري،1987، ص179).

من خلال ما تم عرضه من أمراض يتضح جليا أن المخدرات لها الدور الأكبر في اعتلال الجسم ووهنه، فالله نسأل أن يعافينا ويعافي أبناء جلدتنا من هذه الأوبئة الفتاكة التي تعود بالخسران على المسلم في الدنيا وفي الآخرة.

نتائج البحث

من خلال التحليل السابق للمادة العلمية وبيان ما توصل إليه البحاث والمهتمون بمكافحة جريمة المخدرات تتبين لنا جملة من النتائج لعل من أهمها ما يلي:-

1. المجتمع البشري عبارة عن بيت كبير خيره قد يخص ولكن شره يعم.
2. المخدرات مرض عضال فتاك يصيب الزرع والنسل ولا يسلم منه إلا من رحم ربك.
3. مكافحة جريمة المخدرات تقع على عاتق الجميع أفرادا وجماعات، مؤسسات ودول.
4. الإدمان لا يفرق بين أبناء الأسر الغنية ولا الفقيرة، ولا بين أبناء المتعلمين ولا الأميين، بل هو نار تلتهم الجميع.
5. تعد المخدرات من الأسلحة الفتاكة والخبيثة التي تستعملها الدول الاستعمارية ضد الشعوب المغلوبة على أمرها من أجل تمييع شبابها والسيطرة على ثرواتها ومقدراتها.
6. المخدرات تحدث اعتمادا جسديا واعتمادا نفسيا عند المتعاطي.
7. ظهور أعراض جسدية ونفسية مميزة لكل عقار
8. المخدرات تحدث شروخا اجتماعية يصعب علاجها.
9. ما حرم الدين شيئا إلا وللعباد فيه مصلحة ومن هذه المصالح تحريم التعامل مع المخدرات سواء أكان ذلك بالتعاطي أو الاتجار.

التوصيات:

- نطلاقا من الإرشاد الرباني الوارد في كتابه العزيز: (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) يرى الباحث ضرورة التركيز على الجانب التوعوي والعمل على تنبيه الشباب وتعريفهم بهذه الأمراض الفتاكة وتحريك الواعز الديني لديهم.
- يجب على الدولة الوقوف بكل حزم أمام هذه الظواهر الهدامة ومحاربتها بكل قوة والحرص التام في تطبيق الحدود الشرعية وكما أخبرنا الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.
- الاهتمام بمنافذ الدولة وتشديد المراقبة على حركة تهريب المخدرات.
- إنشاء مراكز علاجية تأهيلية للمدمنين وبذلك نتمكن من إعادتهم لميادين الانتاج واستثمار طاقاتهم المعطلة.
- يشير المتخصصون أن فئة الأطفال والمراهقين من أسهل الفئات انقيادا وعليه يجب التركيز على الجانب التوعوي داخل المؤسسات التعليمية ومراكز تجمع الشباب حتى يتم مواجهة هذا الخطر الذي يداهمهم.

قائمة المراجع

1. محمود شديقات. الإدمان .– الاردن : مؤسسة الطريق للنشر والتوزيع، 2008.
2. محمد سلامه غباري. الإدمان أسابه، نتائجه، علاجه.– الاسكندرية :الكتاب الجامعي، (د:ت)
3. عبدالرحمن عيسوي. الإدمان وعلاجه.– بيروت : دار النهضة العربية ،1993.
4. جواد فطاير.الإدمان، أنواعه، مراحله، علاجه .– القاهرة:.– بيروت :دار الأندلس، 1988.
5. اسماعيل الدفتار. الدين والعلم والحياة في مواجهة المخدرات.– القاهرة: (د:ن) ، 1991 .
6. ابن تيمية. رسالة العقل والروح؛ تقديم طارق السعود.– دمشق: دار الهجرة للنشر والتوزيع: ، 1988.
7. محمد بن اسماعيل الصنعاني. سبل السلام شرح بلوغ المرام.– بيروت: دار الكتب العلمية،2000.
8. مصباح أبوغرارة ... وآخرون . الوعي الأمني.– طرابلس – ليبيا: منشورات وزارة العدل، (د:ت)
9. محمد عياد الغزال." المخدرات وتأثيرها على الشباب ".– مجلة الجامعي، (د:ت).
10. محمد بن أبي بكر الرازي. مختار الصحاح.– (د:م) : دار الفكر، 1972.
11. معجم المعاني الجامع، قاموس عربي عربي.
12. غراس ."المشروع التوعوي الوطني للوقاية من المخدرات"، 1999 متاح على الرابط: www.ghirasorg